# السرعة وطرائق الدلالة عليها في التعبير القرآني

أ.م.د. علاء كاظم جاسم

كلية الآداب/ جامعة بابل

# The speed and methods of semantics on her in the Quranic expression

**Ass. Prof. Dr. Alaa Kazem Jassim**

**Babylon University /college of Literature**

Almusawwia109@gmail.com

**Abstract :**

The methods of expressing speed in the Holy Quran differed, and I did not find - according to my knowledge - who wrote in this title at all. so The research came to highlight this Quranic purpose, hence the title of the research (The speed and methods of semantics on her in the Quranic expression), Which has been divided into introductory and five method, And I studied in the settlement of the linguistic root of the article (speed) and its derivatives in the Holy Quran, In the first method I studied the words that indicate speed, I had studied in the second method (alpha) the emotion without a period time, While the third method studied (if) sudden, The fourth method was devoted to the study of non-verbal signs (body movements), And I studied in the fifth method deletion, had two pictures, the first: delete part of the word, second: delete the Preposition.

**Keywords**: Significance of speed, reaction, if sudden, body movements, deletion

**الملخص:**

حظيت السرعة بعناية لغة التنزيل واختلفت طرائق التعبير عنها، وجاءت أقوال المفسرين والنحويين عنها متناثرة في مدوناتهم فجمعتها تحت غرض واحد، ولم يُشرْ إلى بعض طرائقها في مواطن أخر– في ما نرى–، ولم أجد – في ما اطلعت– مَنْ كَتَبَ في هذا العنوان مطلقًا، ومن هنا كان عنوان البحث (السرعة وطرائق الدلالة عليها في التعبير القرآني)، وقد قسمته على تمهيد وخمس طرائق، ولا ننكر تداخل بعضها، وهو أمرُ قصدَهُ الباحثُ لغايةٍ– كما سيأتي –، ودرستُ في التمهيد الجذر اللغوي لمادة (س ر ع) واشتقاقاته في القرآن الكريم مقسِّمًا إياه على قسمين، وروده اسمًا مرة، وفعلاً أخرى، وأمَّا الطريقة الأولى فدرست فيها الألفاظ الدالة على السرعة، وخصصتها بدراسة بعض الألفاظ التي تقترب دلاليًا مع دلالة السرعة أو من لوازمها بلحاظ السياق القرآني، ومن المشهور في الدرس النحوي أنَّ (الفاء) العاطفة تدل على الترتيب مع التعقيب، ولا يخفى ما للتعقيب من دلالة على السرعة فكانت الطريقة الثانية في البحث، وكان لــ(إذا) الفجائية نصيبها من الطرائق الدالة على السرعة فجعلتها عنوانًا للطريقة الثالثة، وأما الطريقة الرابعة فخصصتها بدراسة العلامات غير اللفظية المتمثلة بحركات الجسد، ويُعَدُّ الحذفُ من شجاعة العربية فتناولت فيه الطريقة الخامسة، وقد انتظمتْ للبحث صورتان منه تعبيرًا عن السرعة، الأولى: حَذْفُ حَرْفِ البنية في رَسْمِ المُصْحَفِ، والأخرى: الحذف والإيصال، وختمت البحث بجملة نتائج توصل إليها الباحث.

**الكلمات مفتاحية:** دلالة السرعة، (فاء) التعقيب، (إذا) الفجائية، حركات الجسد، الحذف.

**التمهيد**

قبل التطرُّقِ إلى طرائق الدلالة على السرعة يرى الباحث ضرورة التطرُّق إلى الجذر اللغوي لمادة (س ر ع) واشتقاقاته في القرآن الكريم، قال ابن فارس (ت:395هـ): «السِّينُ وَالرَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْبُطْءِ، فَالسَّرِيعُ: خِلَافُ الْبَطِيءِ»[1]، وقد وردت اشتقاقات هذا الجذر اللغوي في القرآن الكريم، اسمية مرةً وفعلية أخرى، ومن هنا سنقسم ورود هذا الجذر على قسمين:

(1) ينظر: معجم مقاييس اللغة: 153/3، مادة (سرع)، وينظر: العين: 330/1، مادة (سرع).

**1. ورود جذر (س ر ع) اسمًا:**

ومنه لفظة **(سريع)**، وهي صفةٌ مشبَّهة تدلّ على الثبوت من الفعل اللازم سرُعَ، وهو اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي لا يشغله حسابُ أحدٍ أو عقابه عن حسابِ غيرِه أو عقابه، أو هو الذي يحاسب عباده جميعًا يوم القيامة في وقت قصير[1]، والملاحَظُ عدم ورود هذه اللفظة في لغة التنزيل إلا مضافةً إلى (الحساب) أو إلى (العقاب)[2]، فمن ورودها مضافةً إلى الحسابِ قول الله (ﷻ) في أحد مشاهد يوم القيامة وأهواله في الكفار: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ۝ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ **سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [ سورة إبراهيم: 49-51 ].

فقوله: سَرِيعُ الْحِسابِ أي: الله (ﷻ) فاصل بين خلقه بالإحاطة التي له، بدقيقِ أمرهِم وعظيمها، وهي لا تخلو من التهديد وسرعة التنفيذ، وقيل لعليٍّ بن أبي طالب(عليه السلام): كيف يحاسبُ اللهُ العبادَ في وقتٍ واحدٍ مع كثرتهم؟ قال: كما يرزقُهُم في وقتٍ واحدٍ[3].

ونظيره قوله تعالى في النجاشي، وفي ناس من أصحابه آمنوا بالنبي محمد(ﷺ)، وصدّقوا به[4]: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ **سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [آل عمران: 199].

ومن ورودها مضافةً الى العقاب، قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ **سَرِيعُ الْعِقَابِ** وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام:165]، والمعنى: إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ لمن كفر بنعمته، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ لمَنْ قام بشكرها، وإنما وُصِفَ العقابُ بالسرعة ؛ لأنَّ كُلَّ ما هو آتٍ قريب، والسرعة تقتضي التحقق، فعقابه واقعٌ، وغير متأخر[5].

والمُلاحَظُ أنَّ لفظة (سريع) لم ترد إلا تذييلاً، ولعلَّها إشارةٌ إلى نهاية مآل المخاطبين ومَحَلِّهم، وَإِيذَانٌ بِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهُ الْعَمَلُ وَالامْتِثَالُ، وفيها تلميحٌ إلى ما يمكن الاصطلاح عليه **بالسرعة المطلقة** – ولها نظائر سنوضحها في البحث– وفيها تنبيه على قول الله (ﷻ): ﴿ إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [ يس:82][6]

وتقول: جَاءَ الْقَوْمُ **سِرَاعًا**، أَيْ: مُسْرِعِينَ [7]، ومنه قول الله (ﷻ) في المشركين[8]: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [ سورة المعارج: 43]، والأجداث: القبور، وسراعًا: جمع سريع، وأما قوله:**(إِلَى نُصُبٍ)** فمعناه: إلى أصنام لهم، وهي آلهتهم التي كانوا يعبدونها، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: 3][9].

ولا تخلو الآية من علامات غير لفظية متمثلة بالحركة الجسديَّة بلحاظِ عَدْوِ هؤلاء القوم ومِشْيَتِهِمْ إلى ذلك النُّصُبِ، وهو قوله: (يوفِضُونَ)، والإيفاض: الإسراع في السَّيْر، ومعناها: يُسْرِعُونَ [10]، وسنقف على بعض نظائر تلك العلامات في البحث.

ومن المُفيدِ الإشارةُ إلى أنَّ جَذْرَ (وَفَضَ)، **ومشتقاته لم يردْ في لغة التنزيل إلا مرةً واحدةً**، وهو في هذه الآية [11]، ولعلَّ في ذلك إشارةً إلى أنَّ لُجُوْءَهُم مسرعينَ طَالبينَ النُّصْرةَ ممَّنْ كانوا يعبدون في ذلك اليومِ العَصيْبِ **لا يَحْصَلُ إلا مرةً واحدةً**، فذُكِرَ اللفظُ مرةً واحدةً تَبعًا لذلك، والله أعلم.

وَقد كَتَبَ نفرٌ من الباحثين– في ما اطلعت– في ما ورد مرةً واحدةً في القرآن الكريم، فاختصَّتْ مدوناتُهُم بدراسة المعنى المعجمي لتلك الألفاظ، ولم يُوردوا جميع الألفاظ، ولم نجدْ عندهم عِلَّةَ ورودها مرةً واحدة في لغة التنزيل[1].

---

(1) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: 2/ 1059، مادة (سرع).
(2) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 429.
(3) يُنظر: معالم التنزيل: 94/3، والمحرر الوجيز: 348/3، والتحرير والتنوير: 252/13.
(4) يُنظر: جامع البيان: 497/7، وينظر: معالم التنزيل: 559/1.
(5) يُنظر: الكشاف: 84/2، والتحرير والتنوير: 211/8.
(6) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: 407، مادة (سرع).
(7) يُنظر: المصباح المنير: 1/ 274، مادة (سرع).
(8) يُنظر: جامع البيان: 23/ 623.
(9) يُنظر:جامع البيان:624/23، معاني القرآن وإعرابه: 5/ 224، ومعالم التنزيل: 155/5، والكشاف:614/4.
(10) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه: 5/ 224، ومفردات ألفاظ القرآن: 877، مادة (وفض).
(11) يُنظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:846.

والظاهر في الآية السابقة شِدّة السرعةِ في ذلك اليوم امتثالاً لأمر الله، وهو ما يمكن تسميته **بالسرعة المركبة**، وهي أنْ يجدَ المشتغلُ في القرآن الكريم أكثرَ من صورةٍ للتعبيرِ عن السرعة. فأولها: العدول الى الصيغة الجمعية، فـ(سراعٌ) جمع (سريع) كما تقدَّم، ومن المعروف أنَّ الجمْعَ أكثرُ شموليةً وشدّةً من الإفراد، وهذا مناسبٌ للسياق القرآني تعبيرًا عن شِدَّةِ هَوْلِ ذلك اليوم وشموليته، ولم يكتفِ النص القرآني بذلك بل جَنَحَ إلى تصويرِ فضاعَةِ حالِهم باستعْمالِهِ طريقةً أخرى دالَّة على السرعة، وذلك في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾، فكَأَنَّ المخاطبين ذَاهِبُونَ إِلَى صَنَمٍ، وقد شُبِّهَ إِسْرَاعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْحَشْرِ بِإِسْرَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا إِلَى الْأَصْنَامِ لِزِيَارَتِهَا[2]، وما عزَّزَ تلك الدلالة حرف الجر (إلى) الدال على انتهاء الغاية، تصويرًا عن منتهى أمل المشركين، وآخر ملجئهم في ذلك اليوم، ولا تخلو الآيةُ منْ إشارةٍ إلى عَجْزِ آلهتهم عن نُصْرتهِمْ في ذلك الموقفِ العصيبِ.

ومن ورود هذا الجذر اللغوي اسمًا لفظة (**أَسْرَع**) مفردة، و(أسرع): اسم تفضيل من سرُعَ، والمعنى: أكثر سرعة وإقدامًا [3]، ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام: 62]، ومعنى قوله: وهُوَ أَسْرَعُ الْحاسِبِينَ، أَيْ: إنَّ حسابه سَرِيعٌ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى فِكْرَةٍ وَرَوِيَّةٍ وَعَقْدِ يَدٍ[4]، والملاحظُ هنا أنَّ جملةَ (أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحاسِبِينَ) قد وردت تَذْيِيلاً، وَلِذَلِكَ ابْتُدِئَ بِأَدَاةِ الاسْتِفْتَاحِ الْمُؤْذِنَةِ بِالتَّنْبِيهِ إِلَى أَهَمِّيَّةِ الْخَبَرِ. وَالْعَرَبُ يَجْعَلُونَ التَّذْيِيلَاتِ مُشْتَمِلَةً عَلَى اهْتِمَامٍ أَوْ عُمُومٍ أَوْ كَلَامٍ جَامِعٍ[5].

**2. ورود جذر (س ر ع) فعلاً:**

ورد هذا الجذر فعلاً مضارعًا، وفعل أمرٍ، فمن الأول قوله: (يسارعون)، و(نسارع)، وقد اسْتُعْمِلَ (يسارعون) في المؤمنين وفي المنافقين.

فمن استعماله في المؤمنين قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۞ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[ المؤمنون:60-61]، والخيرات هنا الطاعات، وَيُسَارِعُونَ عَلَى مَعْنَى: يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخيرات، وأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي قوله (سابِقُونَ): أَنَّهُمْ يَسْبِقُونَ إِلَى أَوْقَاتِهَا. وَكُلُّ مَنْ تَقَدَّمَ فِي شي فَهُوَ سَابِقٌ إِلَيْهِ، وَكُلُّ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ فَقَدْ سَبَقَهُ وَفَاتَهُ[6]، **ولأجل هذا الثبات وذلك الاستقرار تعدى الفعل (يُسَارِعُونَ) بحرف الجر (في)**، «والسَّبْقُ: تَجَاوُزُ السَّائِرِ مَنْ يَسِيرُ مَعَهُ وَوُصُولُهُ إِلَى الْمَكَانِ الْمَسِيرِ إِلَيْهِ قَبْلَهُ. وَيُطْلَقُ السَّبْقُ عَلَى سُرْعَةِ الْوُصُولِ مِنْ دُونِ وُجُودِ سَائِرٍ مَعَ السَّابِقِ»[7] ومنه الآية السابقة، فهذه اللفظة من الألفاظ الدالة على السرعة، وهو ما يدلُّ على تقارُبٍ دلاليٍّ بين اللفظتين، ويدلُّ على **سرعةٍ مُركَّبَةٍ** أيضًا.

ومن استعماله في المنافقين، وقيل في بعض اليهود[8] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة:41]، وَمَعْنَى الْمُسَارَعَةِ فِي الْكُفْرِ إِظْهَارُ آثَارِهِ عِنْدَ أَدْنَى مُنَاسَبَةٍ وَفِي كُلِّ فُرْصَةٍ، فَشَبَّهَ إِظْهَارَهُ الْمُتَكَرِّرَ بِإِسْرَاعِ الْمَاشِي إِلَى الشَّيْءِ، كَمَا يُقَالُ: أَسْرَعَ إِلَيْهِ الشَّيْبُ، **والسرُّ في إيثار (في) الدَّالَّةِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ على (إلى)** ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْإِسْرَاعَ مَجَازٌ بِمَعْنَى التَّوَغُّلِ، فكأنهم في أصل الكفر، فَيَكُونُ (فِي) قَرِينَةَ الْمَجَازِ، كَقَوْلِهِمْ: أَسْرَعَ الشَّيْبُ فِي رَأْسِ فُلَانٍ.

---

(1) يُنظر: إعجاز القرآن في كلمات لم تذكر إلا مرة واحدة، دانة وصال، وعلى الموقع:
https://ansaaar.com/showthread.php?t=13104
، وكلمات وردت مرة واحدة فقط، ولم تتكرر، معهد دار الهجرة للقراءات وعلوم القرآن الكريم، وعلى الموقع: www.dar-alhejrah.com/t1837-topic
(2) يُنظر: التحرير والتنوير: 29/ 183.
(3) يُنظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: 1058/2، مادة (سرع).
(4) يُنظر: جامع البيان:413/11، ومعالم التنزيل: 130/2.
(5) يُنظر: التحرير والتنوير: 7/ 279.
(6) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن: 133/12، وتفسير حدائق الروح والريحان: 18/ 181.
(7) التحرير والتنوير: 30/ 64.
(8) يُنظر: جامع البيان: 302/10، ومعالم التنزيل: 2/ 795.

فَجَعَلَ الْكُفْرَ بِمَنْزِلَةِ الظَّرْفِ، وَجَعَلَ تَخَبُّطَهُمْ فِيهِ، وَشِدَّةَ مُلَابَسَتِهِمْ إِيَّاهُ بِمَنْزِلَةِ جَوَلَانِ الشَّيْءِ فِي الظَّرْفِ جَوَلَانًا بِنَشَاطٍ وَسُرْعَةٍ[1]، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تعالى في اليهود[2]: ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الْمَائِدَة: 62].

وتبدو لي جماليةَ التعبير القرآني من خلال الدقَّةِ في عِلَّةِ تعديةِ كلمةِ (يُسَارِعُوْن) بحرف الجر (في)، سواء أكان السياقُ في المؤمنين أم في المنافقين أم في اليهود، وهذه الدلالة لا تتأتَّى في تعْدِيَةِ هذا الجذر اللغوي بـ (إلى) المشعرة بخلافِ المقصودِ من كونهم خارجين عن أصْلِ الخيرات متوجهين إليها كما في قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾ [آل عمران:133][3].

ومن ورود الفعل المضارع **(نُسَارِع)**، قوله تعالى في أهل الكتاب[4] ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ۞ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: 55–56]، والمعنى: أَنَّ هَذَا الْإِمْدَادَ لَيْسَ إِلَّا اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ فِي الْمَعَاصِي، وَهُمْ يحسبونه مسارعةً في الخيرات، وَفِيهِ تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ[5].

وقد ورد هذا الجذرُ اللغويُّ فعلَ أمْرٍ في التنزيل وهو قوله: **(سارعوا)**، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [ آل عمران:133]، والمسارعة هنا المبادرة، وهي مفاعلة، فكأنَّ كلَّ واحدٍ من الناس يُسرعُ ليَصِلَ قبل غيره[6]، وقد تطرقنا إلى جمالية التعبير القرآني في هذه الآية في ما سبق.

والملاحَظُ أنَّ الخطاب القرآني في فعل الأمر (سارعوا) لم يكنْ مُوجَّهًا إلا للمؤمنين، وقد اقتربت هذه اللفظة دلاليًا مع فعل الأمر (سابقوا)، وذلك في قوله تعالى: ﴿ سابِقُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الْحَدِيد: 21][7].

وبعد هذه التمهيد، سنذكرُ طرائق الدلالة على السرعة في لغة التنزيل، ونُجْملُها في ما يأتي:

**الطريقة الأولى: الألفاظُ الدالَّةُ على السرعةِ:**

ذكرنا بعضًا منها في ما تقدَّمَ، وهناك ألفاظٌ أُخَر تقترب دلاليًّا مع دلالة السرعة أو من لوازمها بلحاظ السياق القرآني، ومنها ما يأتي:

1. **حَثَّ:** قال الراغب الأصفهاني (ت 502هـ): « الحَثُّ: السرعةُ »[8]، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾ [ الأعراف: 54]، والمعنى: يَطْلُبُهُ سريعًا حَثِيثاً ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ يعقب أحدهما الْآخَرَ وَيَخْلُفُهُ، فَكَأَنَّهُ يَطْلُبُهُ[9].

وقد وَصَفَ اللهُ « هَذِهِ الْحَرَكَةَ بِالسُّرْعَةِ وَالشِّدَّةِ ؛ لِأَنَّ تَعَاقُبَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَحْصُلُ بِحَرَكَةِ الْفَلَكِ الْأَعْظَمِ، وَتِلْكَ الْحَرَكَةُ أَشَدُّ الْحَرَكَاتِ سُرْعَةً وَأَكْمَلُهَا شِدَّةً »[10].

والملاحظ في الآية استعمال هذه اللفظة (حَثِيثًا) **قد ناسب سرعة تعاقُب الليل والنهار**، وحركة الْفَلَكِ الْأَعْظَمِ، فسبحان الذي خلق كل شيء فأتقن صُنعه، والله أعلم.

2. **الوحي:** ورد في معجم مقاييس اللغة أنَّ « الْوَاوُ وَالْحَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِلْقَاءِ عِلْمٍ فِي إِخْفَاءٍ، أَوْ غَيْرِهِ إِلَى غَيْرِكَ، فَالْوَحْيُ: الْإِشَارَةُ. وَالْوَحْيُ: الْكِتَابُ وَالرِّسَالَةُ، وَكُلُّ مَا أَلْقَيْتَهُ إِلَى غَيْرِكَ حَتَّى عَلِمَهُ فَهُوَ وَحْيٌ كَيْفَ كَانَ... والوحي: السريع »[11]، وأصلُ الوحي: « الإشارة السريعة »[1].

---

(1) يُنظر: التحرير والتنوير: 198/6.
(2) يُنظر: جامع البيان: 447/10.
(3) يُنظر: تفسير حدائق الروح والريحان: 18/ 181.
(4) يُنظر: جامع البيان: 43/19.
(5) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه:16/4، والبحر المحيط: 568/7.
(6) يُنظر: المحرر الوجيز: 507/1.
(7) يُنظر: معالم التنزيل:6/5.
(8) مفردات ألفاظ القرآن: 218، مادة (حث)، ويُنظر: العين: 23/3 مادة (حث).
(9) يُنظر: معالم التنزيل: 198/2.
(10) مفاتيح الغيب: 14/ 271.
(11) معجم مقاييس اللغة: 6/ 92، مادة (وحي).

ومن الوحي الدالِّ على السرعةِ المراد منه الإلهام بدلالةِ السياق ما ورد في قِصّةِ سيدِّنا موسى (عليه السلام) وأمه حين حُرِّمتْ عليه المراضع، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [ القصص: 7]، فذلك الوحي جاءها من الله (عز وجل)، قذفه في قلبها، وهو وحي إلهامٍ لا وحْيُ نُبوَّةٍ بدلالةِ ما بعده من السياق اللفظي[2]، ولا يخلو هذا القذفُ من دلالةٍ على السرعةِ، ومن لطائف هذه الآية أنْ جَمَعَ الله بَيْنَ أَمْرَيْنِ وَنَهْيَيْنِ وَبِشَارَتَيْنِ بلُغَةٍ مُوجَزةٍ جمَعَتِ المعاني الكثيرة في الكلامِ القليل[3]، ومن المُسَلَّمَاتِ أنَّ هذه اللطائف تقتضي سُرعةً من الله تحقيقًا لإرادتِهِ وقضائِه.

**3. خطف:** قال ابن دريد(ت321هـ): « كلُّ أَخْذٍ فِي سُرْعَةٍ فَهُوَ خَطْفٌ »[4]، وذكر ابن سيده (ت 548هـ) أنَّ« الخَطْف: الأَخْذ فِي سُرعةٍ واسْتِلابٍ »[5]، وقال الراغب الأصفهاني (502 هـ): « الخَطْفُ والاختطاف: الاختلاس بالسّرعة »[6].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [ الحج: 31]، فقوله: (فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ)، أَيْ: تَسْتَلِبُهُ الطَّيْرُ، وَتَذْهَبُ بِهِ، وَالْخَطْفُ وَالِاخْتِطَافُ تَنَاوُلُ الشَّيْءِ بِسُرْعَةٍ، وقد قرأ أَهْلُ الْمَدِينَةِ (فَتَخَطَّفُهُ) بِفَتْحِ الْخَاءِ وَتَشْدِيدِ الطَّاءِ، أَيْ: يَتَخَطَّفُهُ[7]، وقد شَبَّهَ الله(عز وجل) حَالَ الْمُشْرِكِ بِحَالِ الْهَاوِي مِنَ السَّمَاءِ فِي أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ حِيلَةً حَتَّى يَقَعَ بِحَيْثُ تُسْقِطُهُ الرِّيحُ، فَهُوَ هَالِكٌ لَا مَحَالَةَ إِمَّا بِاسْتِلَابِ الطَّيْرِ لَحْمَهُ، وَإِمَّا بِسُقُوطِهِ إِلَى الْمَكَانِ البعيْدِ الذي لا قرارَ لَه[8].

والملاحَظُ في قوله: (فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ) – كما يحكي السيد قطب (ت:1385 هـ)– هو **سُرْعَةُ الحركةِ** مع عُنْفِها، وتعاقُبِ خطواتها في اللفظ بدليل «الفاء» العاطفة الدالة على التعقيب، وهو ما يدلُّ على سُرْعَة الاسْتلابِ، فكأنَّه يتمزَّقُ في **لَمْحِ البَصَرِ**، على طريقة القرآن الكريم في التعبير بالتصوير، ويُعدُّ هذا المشهد صورةً صادقةً لحالِ مَنْ يُشركُ بالله، فيَهْوي من أفُقِ الإيمانِ السامِقِ إلى حيثُ الفناء والانطواء[9]، ولا يخفى ما لقوله: (تَهْوِي) – وهو الذهابُ في انحدار[10] – من إشارةٍ إلى دلالةِ سرعةِ ذلك الانحدار والسقوط.

والمُتَحَقَّقُ أنَّه يشير إلى أكثر من طريقة للدلالة على السرعة، وهو ما يجعلُ **السرعة مركبة**، علاوةً على ذلك التشبيه المُرَكَّب الذي يشير مشهدُه إلى تلك الدلالة، فكأننا أمام صورٍ متلاحقةٍ تصويرًا لحال المشرك، ونظيره قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ﴾ [الْبَقَرَة: 20].

**الطريقة الثانية: (الفاء) العاطفة:**

مذهب جمهور النحويين أنَّ الأصل في دلالة (الفاء) العاطفة أنها للترتيب والتعقيب، بمعنى أنْ يُعْطَفَ بها لاحقٌ مترتبٌ متصلٌ بلا مُهْلَة[11]، ومن هنا قال ابن مالك[12]:

والفاء للتّرتيب باتّصال ... وثم للتّرتيب بانفصال

ومن (الفاء) العاطفة الدالَّةِ على السرعة قوله تعالى في قصة نبي الله موسى (عليه السلام) مع فرعون: ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۞ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الشعراء: 36–38]، فـ (الفاء) في قوله: (فَجُمِعَ)، عاطفة على محذوف تقديره: فبعث فرعون في المدائن حاشرين[13]، بدلالة السياق اللفظي السابق، وذكر ابن عاشور التونسي (ت

(1) مفردات ألفاظ القرآن: 858، مادة (وحي).
(2) يُنظر: جامع البيان: 519/19، ومعاني القرآن وإعرابه: 133/4، ومعالم التنزيل:522/3
(3) يُنظر: التحرير والتنوير: 122/1.
(4) جمهرة اللغة: 609/1، مادة (خ ط ف).
(5) المحكم والمحيط الأعظم: 118/5 مادة (خ ط ف)، ويُنظر: لسان العرب: 75/9، مادة (خطف).
(6) مفردات ألفاظ القرآن: 286، مادة (خطف).
(7) يُنظر: الحجة في القراءات السبع: 253، ومعاني القراءات: 316.
(8) يُنظر: معالم التنزيل: 339/3.
(9) يُنظر: في ظلال القرآن: 2421/4.
(10) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن:849، مادة (هوى).
(11) يُنظر: الأصول في النحو:55/2، وشرح الكافية الشافية:2/ 539، وشرح التصريح:160/2.
(12) يُنظر: شرح ابن عقيل: 227/3
(13) يُنظر: تفسير حدائق الروح والريحان: 225/20.

1393هـ) أنَّ (الفاء) قد دَلَّتْ « عَلَى أَنَّ جَمْعَ السَّحَرَةِ وَقَعَ فِي **أَسْرَعِ** وَقْتٍ عَقِبَ بَعْثِ الْحَاشِرِينَ حِرْصًا مِنَ الْحَاشِرِينَ وَالْمَحْشُورِينَ عَلَى تَنْفِيذِ أَمْرِ فِرْعَوْنَ »[1].

**ولم أجدْ مَنْ ذكر دلالة السرعة في هذه الآية – في ما راجعت من مصادر– إلا عند ابن عاشور، والمُتَحَقَّقُ أنَّها من التفاتاته الدلالية.**

**ويرى الباحثُ كثرةَ ورودِ الفاءِ الدالَّةِ على التعقيبِ بلا مُهْلَةٍ – وهي من لوازمِ السُّرْعةِ – في دعاءِ الأنبياءِ للذاتِ المُقدسَّةِ،** طمعًا في سُرعةِ الاسْتجابَةِ، ومنه استجابة الله (ﷻ) حين استغاث به لوط (عليه السلام) حين توعَّدَه قومُهُ بالإخراج من بلدهم إنْ هو لم ينتهِ عن نَهْيِهِمْ عن ركوبِ الفاحِشَةِ[2]، وذلك في قوله تعالى: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ۞ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ﴾ [الشعراء: 169–171].

قال ابن عاشور التونسي: « وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: فَنَجَّيْنَاهُ لِلتَّعْقِيبِ، أَيْ كَانَتْ نَجَاتُهُ عَقِبَ دُعَائِهِ حَسْبَمَا يَقْتَضِي ذَلِكَ مِنْ **أَسْرَعِ** مُدَّةٍ بَيْنَ الدُّعَاءِ وَأَمْرِ اللَّهِ إِيَّاهُ بِالْخُرُوجِ بِأَهْلِهِ »[3].

**ولم أجدْ أيضًا مَنْ ذكر دلالة السرعة في هذه الآية– في ما راجعت من مصادر– إلا عند ابن عاشور، والمُتَحَقَّقُ أنَّها من التفاتاته الدلالية،** وأمَّا العجوزُ المستثناةُ في النصِّ المتقدِّمِ فهي امْرَأَةُ لُوطٍ بَقِيَتْ فِي الْعَذَابِ والهلاك[4].

ويُعَدُّ أيوب (عليه السلام) أنموذجًا للعبد الصابر الذي لا يضيق صدره بالبلاء، بل إنه ليتحرَّجُ أنْ يطلبَ من ربِّهِ رفعَ البلاء عنه، فيَدَعُ الأمرَ كلَّه إليه، اطمئنانًا إلى عِلْمِهِ بحاله وغناه عن سؤاله، **وفي اللحظة** التي توجه فيها أيوب (عليه السلام) إلى ربِّه بهذه الثقة، وبذلك الأدب **كانت الاستجابة، وكانت الرحمة، وكانت نهاية الابتلاء**[5]، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: 83–84].

فالسِّينُ وَالتَّاءُ في قوله: (فَاسْتَجَبْنَا) لِلْمُبَالَغَةِ والشدة فِي الْإِجَابَةِ، والمعنى: **اسْتَجَبْنَا دَعْوَتَهُ بِإِثْرِ كَلَامِهِ بدلالةِ (الفاء) الدالَّةِ على التعقيبِ**، وأشارَ في قوله: (فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ)، إِلَى سُرْعَةِ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْهُ، وَالتَّعْقِيبُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ، وَهُوَ مَا تَقْتَضِيهِ الْعَادَةُ فِي الْبُرْءِ وَحُصُولِ الرِّزْقِ وَوِلَادَةِ الْأَوْلَادِ، بمعنى أنَّ الكشْفَ **كان فورَ الضراعَةِ**، وَالْكَشْفُ: مُسْتَعْمَلٌ فِي الْإِزَالَةِ السَّرِيعَةِ، وقد شُبِّهَتْ إِزَالَةُ الْأَمْرَاضِ وَالْأَضْرَارِ الْمُتَمَكِّنَةِ الَّتِي يُعْتَادُ أَنَّهَا لَا تَزُولُ إِلَّا بِطُولٍ **بِإِزَالَةِ الْغِطَاءِ عَنِ الشَّيْءِ فِي السُّرْعَةِ**[6].

و(الكَشْفُ) في الأصل « رفْعُكَ شيئاً عمَّا يُواريهِ ويُغَطّيهِ، كرفْعِ الغِطاءِ عن الشيء »[7]، ولا يخفى أنَّ في تكرارِ (الفاء) العاطفة في قوله: (فَاسْتَجَبْنَا)، وقوله:(فَكَشَفْنَا) من زيادةٍ في السُّرعةِ وشِدَّتِها ما لا يَخفَى علاوةً على ما تَمَّ ذِكْرُه.

ومثله في قصة نوح (عليه السلام)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ** وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء:76].

ونظيره في قصة نبي الله (ذي النون) (عليه السلام)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۞ **فَاسْتَجَبْنَا** لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 87–87].

(1) التحرير والتنوير: 125/19.
(2) يُنظر: جامع البيان: 389/19.
(3) التحرير والتنوير: 181/19.
(4) يُنظر: معالم التنزيل: 477/3.
(5) يُنظر: في ظلال القرآن: 2392/4.
(6) يُنظر: التحرير والتنوير: 127/17.
(7) العين: 297/5، مادة (كشف).

**الطريقة الثالثة: إذا الفجائية:**

وهي حرفٌ لا محلَّ له من الإعرابِ على الأصحِّ، وقيل: ظرف مكان، وقيل: ظرف زمان، وليس من وَكْدِ البحْثِ التطرُّقُ إلى ذلك الخلاف[1]، وتخْتَصُّ بالجملِ الاسمية، وَلَا تحْتَاجُ إلى جَوَابٍ، وَلَا تقعُ فِي الِابْتِدَاء، وَمَعْنَاهَا الْحَال لَا الِاسْتِقْبَال، ومنه قولنا: خرجتُ فَإِذا الْأَسَدُ بِالْبَابِ[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ [يس: 51]، وَهَذِهِ هي النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [ الزمر: 68]، وتُسمَّى نفْخَة البعْث، وَالْمَاضِي المُسْتَعْمَل في قوله: (ونُفِخَ) مرادٌ منه تَحَقُّق الْوُقُوعِ، وَالْمَعْنَى: وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ، أَيْ: وَيَنْفُخُ نَافِخٌ فِي الصُّورِ، وَهُوَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ، وَاسْمُهُ إِسْرَافِيلُ، ونظيره قوله: ﴿أَتى أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النَّحْل: 1]، والمعنى: سيأتي، وَ(إِذَا) لِلْمُفَاجَأَةِ، وَهِيَ حُصُولُ مَضْمُونِ الْجُمْلَةِ الَّتِي **بَعْدَهَا سَرِيعًا وَبِدُونِ تَهَيُّؤٍ**[3].

وما جعل هذه **السرعة مركبةً** دخول (الفاء) العاطفة الدالة على التعقيب على (إذا) الفجائية، وورود الحركة الجسديَّة في قوله: (إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ)، أيْ: يخرجون إلى ربهم سِراعًا، والنَّسَلان: الإسراعُ في المشْيِ[4]، وهي من لوازم حركة القدمين، وجاء الإسراع بطريق الإجبار، وليس على جهة الاختيار بدليل السياق اللفظي وهو قوله: (لَدَيْنَا مُحْضَرُون) [5]، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: 53].

ونظيرها في بيان معجزات نبي الله موسى (عليه السلام) وتحديه للسحرة في حضرة فرعون[6]، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ **فَإِذَا** هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُ **فَإِذَا** هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾[ الشعراء:32-33 ].

وقد تُغنِي "إذا" الفجائية عن (الفاء) في جواب الشرط ؛ لأنّ (إذا) المفاجأة لا يُبتدأُ بها، ولا تقع إلاّ بعد ما هو معقّب بما بعدها، فأشبهت الفاء؛ فجاز أن تقوم مقامَها، والمفاجأة والتعقيب متقاربان[7]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ **إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ** فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [يونس:21]، والآية حكاية عن حال تَمَرُّد الْمُشْرِكِينَ[8]، وقوله: (إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ) استهزاء وتكذيب منهم[9]، وَ(إِذَا) هنا لِلْمُفَاجَأَةِ، وحَرْفُ الْمُفَاجَأَةِ **يَدُلُّ عَلَى الْبِدَارِ وَالْإِسْرَاعِ** بِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ، ويُفِيدُ مُفَادَ (فَاءِ) التَّعْقِيبِ الَّتِي يُؤْتى بهَا لربطِ جَوَابِ الشَّرْطِ بِشَرْطِهِ، فَإِذَا جَاءَ حَرْفُ الْمُفَاجَأَةِ أَغْنَى عَنْهَا[10].

وما جعل هذه **السرعة مركبةً** أنْ عقَّب (إذا) الفجائية بجذرٍ لغويٍّ دالٍّ على السرعةِ، وهو أفعل التفضيل (أسرع)، وذلك في قوله: (الله أسرع مكرًا)، فعَذَابُهُ فِي إِهْلَاكِكُمْ أَسْرَعُ مِحَالاً بكم، واستدراجًا لكم وعقوبةً منكم، من المَكْرِ في آياتِ الله[11].

**الطريقة الرابعة: العلامات غير اللفظية (حركاتُ الجَّسَد):**

المتعارَفُ في الدرس الدلالي أنْ يكون موضوع علم الدلالة أي شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز، وهذه العلامات أو الرموز قد تكون علاماتٍ على الطريق، وقد تكون إشارةً باليَدِ أو إيماءة بالرأس، وما قد يصاحبها من تقطيب الحاجبين، أو في هيأة الجلوس،

(1) يُنظر: شرح التسهيل لابن مالك:214/2، وشرح التصريح: 388/2.
(2) يُنظر: مغني اللبيب: 120/1.
(3) يُنظر: معالم التنزيل: 16/4، والتحرير والتنوير:36/23.
(4) يُنظر: جامع البيان:531/20، ومعاني القرآن وإعرابه: 290/4، ومفردات ألفاظ القرآن: 803، مادة (نسل).
(5) يُنظر: إرشاد العقل السليم: 171/7.
(6) يُنظر: جامع البيان: 16/13.
(7) يُنظر: شرح المفصل: لابن يعيش: 126/3، واللمحة في شرح الملحة:885/2.
(8) يُنظر: جامع البيان: 49/15.
(9) يُنظر: جامع البيان: 49/15، ومعالم التنزيل: 415/2.
(10) يُنظر: التحرير والتنوير:133/11.
(11) يُنظر: جامع البيان: 49/15، ومعالم التنزيل: 415/2.

وغير ذلك من حركات جسدية تؤدي غايتها المقصودة في الاتصال بين الباث والمستقبل، كما قد تكون كلمات وجُمَلاً [1]، وقد سوَّدْنا بحثًا في هذا الموضوع [2].

وذكرنا [3] منه قوله تعالى في قصة سيدنا سليمان (عليه السلام) في سؤاله للملأ الذين كانوا في حضرته، أيهم يأتيه بعرش بلقيس من اليمن سالمًا كما تركتْهُ على ما فيه من الجواهر والحُلِيِّ [4]، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۞ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ **قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا** رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ [ النمل: 39–40].

وما يعنينا هنا تعبيرًا عن **السرعة المطلقة** قوله:(قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)، وهي من لوازم حركة العينين، و« الطَّرفُ: تحريكُ الأجفانِ وفتحُها للنَّظرِ إلى شيء، وارتداده انضمامها، ولكونِه أمراً طبيعياً غيرَ منوطٍ بالقصدِ أُوثر الارتدادُ على الردِّ »[5]، فقد أحضر الذي عنده **عِلْمٌ مِن الكتابِ** – وهو كاتبه (آصف بن برخيا) – عرشَ بلقيس من أقصى اليمنِ إلى أقصى الشَّامِ، في مِقْدارِ لِمْحِ البَصَرِ[6]، استقصارًا لمدّة المجيء به، « كقولك لصاحبك: افعل كذا في لحظةٍ، وفي ردّةِ طَرْفٍ، والتفِتْ تَرَنِي، وما أشبه ذلك: **تريد السرعة**»[7].

وما عزَّزَ تلك السرعة تعقيبه بـــ (الفاء) العاطفة مباشرةً، وذلك في قوله تعالى: (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ) تعبيرًا عن شدَّةِ قِصَرِ مدَّة ارتداد طرْفِ سيدنا سليمان(عليه السلام).

وإذا كانت **وحدة قياس السرعة** في العلوم الطبيعية هي: (كيلو متر / الثانية) بمعنى: المسافة المقسومة على الزمن، وإذا كانت سرعة الضوء (ثلاثمئة ألف كيلو متر في الثانية)[8]، فلنا أنْ نتخيَّلَ سرعة إتيان ذلك الذي عنده علمٌ من الكتاب عرشَ بلقيس من أقصى اليمن إلى أقصى الشام سالمًا كما تركتْه، فإذا كان هذا حال سرعةِ فِعْلِ المخلوقِ، فكيف بسرعةِ أمْرِ الخالِقِ ؟

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[النحل:77]، والساعةُ اسمٌ لإمَاتَةِ الخَلق وإحْيائِهِمْ، وقد سُمِّيَتْ سَاعَةً؛ لِأَنَّهَا **تَفْجَأُ** النَّاسَ فِي سَاعَةٍ، فَيَمُوتُ الْخَلْقُ بِصَيْحَةٍ. **وَاللَّمْحُ: النَّظَرُ بِسُرْعَةٍ**، وَوَجْهُ التَّأْوِيلِ: أَنَّ السَّاعَةَ لَمَّا كَانَتْ آتِيَةً وَلَا بُدَّ، جُعِلَتْ مِنَ الْقُرْبِ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، ولَمْ يُرِدْ أَنَّ السَّاعَةَ تَأْتِي فِي لَمْحِ الْبَصَرِ، وَإِنَّمَا وَصَفَ **سُرْعَةَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِتْيَانِ** بِهَا، أَيْ: يَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ[9].

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [القمر:50]، أي: وما أمرنا للشيء إذا أمرناه، وأردنا أن نكوّنه إلَّا كلمةٌ واحدةٌ سريعةُ التكوينِ، لَا مُرَاجَعَةَ فِيهَا، وَهُوَ تَشْبِيهٌ فِي سُرْعَةِ الْحُصُولِ، وسُرْعَةِ التَّأْثِيرِ فِي الْمُتَعَلِّقَةِ هِيَ بِهِ كَسُرْعَةِ لَمْحِ الْبَصَرِ، كقولِه (عز وجل): ﴿ إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [ يس:82][10]، فَعبّر الله (عز وجل) عن سرعة إيجاده بأَسرع ما يدركه وَهْمنا[11].

(1) يُنظر: علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر:11، والمعنى وظلال المعنى: 85.
(2) يُنظر: من دلالات الرمز والإشارة في القرآن الكريم، د. علاء كاظم جاسم، بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية، تصدرها كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل، العدد السادس عشر – آب المجلد الأول/ 2013.
(3) يُنظر: م.ن: 35.
(4) يُنظر: جامع البيان: 462/19-463.
(5) إرشاد العقل السليم: 287/6.
(6) يُنظر: تفسير حدائق الروح والريحان: 15/16.
(7) الكشاف: 368/3.
(8) يُنظر: (سرعة الضوء في القرآن الكريم) محاضرة للدكتور علي منصور الكيالي على شبكة الانترنيت، وعلى الموقع https://www.youtube.com/watch?v=3xUp6UJFxus&feature=share
(9) يُنظر: جامع البيان:264/17، ومعاني القرآن وإعرابه:214/3، والجامع لأحكام القرآن: 150/10.
(10) يُنظر: جامع البيان: 607/22، ومعالم التنزيل: 330/4، وإرشاد العقل السليم:175/8، والتحرير والتنوير:221/27,
(11) يُنظر: بصائر ذوي التمييز:39/2.

ومن لطائف التعبير القرآني أنّه قال في سورة القمر(كَلَمْحِ الْبَصَرِ)، وقال في الآية المتقدمة من سورة النحل (كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ)، فَزِيدَ هنالك (أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ لِلتَّحْذِيرِ مِنْ مُفَاجَأَةِ النَّاسِ بِهَا قَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدُّوا لَهَا، فَهُوَ حَقِيقٌ بِالْمُبَالَغَةِ فِي التَّقْرِيبِ، بِخِلَافِ مَا فِي الْآيَةِ فِي سورة القمر، فَإِنَّهُ لِتَمْثِيلِ أَمْرِ اللَّهِ وَذَلِكَ يَكْفِي فِيهِ مُجَرَّدُ التَّنْبِيهِ ؛ إِذْ لَا يَتَرَدَّدُ السَّامِعُ فِي التَّصْدِيقِ بِهِ[1].

وتأسيسًا على ما تقدم يرى الباحث أنَّ **السرعة المطلقة هي: التعبير عن إيجاد الشيء بأسرع ما يدركُهُ الوهْمُ بلحاظِ القرائنِ السياقيّة.**

ومن العلامات غير اللفظية (حركات الجسد)، ومن لوازم حركة المشي وسرعته، ما ورد في سياق فِعْلَةِ سيدنا إبراهيم(عليه السلام) بآلهة قومه من تحطيم[2] وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۞ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ [الصافات:93-94].

فقوله:(يَزِفُّونَ): أي يسرعون في المشي[3]، وفيه ثلاث قراءات، وأصله – على قراءة المصحف– من زَفِيف النَّعَام، وهو ابتداء عَدْوِه، يقال: زَفّ النعام يَزِف" زَفِيفًا[4]. والمعنى: فَلَمَّا عَلِم قومُ إبراهيمَ(عليه السلام) بِمَا فَعَلَه بِأَصْنَامِهِمْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ مَنْ يُحْضِرُهُ فِي مَلَئِهِمْ حَوْلَ أَصْنَامِهِمْ فجَاءَهُ الْمُرْسَلُونَ إِلَيْهِ مُسْرِعِينَ يَزِفُّونَ، أَيْ: يَعْدُونَ، وَالزَّفُّ: **الْإِسْرَاعُ فِي الْجَرْيِ**، و(الفاء) فِي قَوْلِهِ: (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ) للتَعْقِيب[5].

ونحن هنا أمام طريقتين من طرائق الدلالة على السرعة، إحداهما: (الفاء) العاطفة الدالة على التعقيب (بلا مهلة)، وتمثلت الأخرى بعلامة غير لفظية، وهي الإسراعُ في الجرْيِ حركةً جسديةً طمعًا في الظَّفَرِ بسيِّدِنا إبراهيمَ(عليه السلام)، وهو ما جعلَ السرعةَ مُركبَّةً.

**والملاحَظُ أنَّ الجذر اللغوي (زَفَّ) ومشتقاته لم يردْ في لغةِ التنزيلِ إلا مرَّةً واحدةً**، وهو في هذه الآية[6]، ولعلَّ في ذلك إشارةً إلى أنَّ هذه الفِعْلَةَ من تكسيرٍ للأصنامِ، **وعَبَدَتُهَا في عِزٍ وجبروت ومَنَعَةٍ**، لم تحصلْ إلا مرةً واحدةً، فذُكِرَتْ في لغة التنزيل تَبَعًا لذلك، والله أعلم.

**الطريقة الخامسة: الحذف:**

الحذف من شجاعة العربية، وقد حَذفَتِ العربُ الجملةَ والمفردَ والحرفَ والحركةَ, ولا يخلو الحذفُ من قرينةٍ حاليةٍ (مقاميَّةٍ) أو مقاليَّةٍ، تدلُّ على ذلك المحذوف[7]، وقد انتظمتْ للبحثِ صورتان منه تعبيرًا عن دلالة السرعة في لغة التنزيل **بلحاظ القرائن السياقية،** يمكن إجمالها بما يأتي:

1. **حذف حرف البنية في رسم المصحف:**

قبل أنْ نستعرضَ بعضًا لنماذج من ذلك الحذف، لا بُدَّ من الإشارةِ إلى مقولة ابن درستويه (ت 347هـ) – كما يحكي الزمخشري (ت 538هـ)– « خطَّان لا يقاسان: خطُّ المُصْحَفِ ؛ لأنه سُنَّةٌ، وخطُّ العَرُوْض؛ لأنَّه يثبتُ فيه ما أثبته اللفظُ ويَسْقط عنه ما أسقَطَه »[8].

وعلى الرغم من وجاهة الرأي القائل بأنَّ رسم المصحف كان يمثِّلُ مرحلةً مِنْ مراحل تطوُّرِ الكتابة العربية، وقد حمل خصائص تلك المرحلة، وما إملاؤنا اليوم إلا امتدادٌ لذلك الرسم في معظم خصائصِهِ[9]، غير أنَّ ورود بعض الألفاظ وقد كُتِبتْ بطريقتين في رسم المصحف نفسه، يدعونا إلى التساؤل، ما العلة في ذلك ؟ هذه مسألة، ومسألة أخرى، وهي أنَّ علماء العربية قد وضعوا شروطًا للقراءة الصحيحة وهي: أ. صحة السند ب. موافقته لرسم المصحف العثماني ج. موافقته للعربية، ولو بوَجْهٍ[10]،«فموافقةُ رسم المصحفِ

(1) يُنظر: التحرير والتنوير:221/27.
(2) يُنظر: جامع البيان:67/21.
(3) يُنظر: العين: 388/7-389، مادة (وزف).
(4) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه: 309/4، ومعاني القراءات:410-411.
(5) يُنظر: معالم التنزيل:35/4، والتحرير والتنوير:144/23.
(6) يُنظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:406.
(7) يُنظر: الخصائص:362/2، ومغني اللبيب:789/2.
(8) الكشاف:27/1.
(9) يُنظر: رسم المصحف / دراسة لغوية تاريخية:738.
(10) يُنظر: النشر في القراءات العشر:14/1.

العثمانيِّ شرْطٌ من شروط القراءة الصحيحة، ومتى اخْتلَّ هذا الشرط فخالفَتِ القراءةُ رسْمَ المُصْحَفِ دخلتْ في الضعْفِ أو الشذوذِ أو البُطْلان »[1].

ولعلَّ هذا ما أغرى الدكتور فاضل صالح السامرائي لتسويدِ بعض الصحائِفِ في بعْضِ كُتُبِهِ لدراسة هذه المسألة، فـ « لا شكَّ أنَّ كلَّ مفردةٍ وضعتْ وضعًا فنيًّا مقصودًا في مكانها المناسب، وإنَّ الحذفَ من المفردة مقصودٌ، كما أنَّ الذكر مقصودٌ»[2].

فمن الحذف قوله تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ **يُنَادِ الْمُنَادِ** مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [ ق:41]، فقد ذهب النحويون إلى أنَّ (الياء) في قوله: (يناد) قد حُذفَتْ من الخطِّ كما حُذفَتْ في اللفظ لسكونها، وسكون اللام في (المناد)، ونظيرها حَذْفُ (الواو) من (سندع) في قوله تعالى: ﴿**سَنَدْعُ** الزَّبَانِيَةَ﴾ [الْعَلَقِ: 18]، ومثلها حذف (الواو) من (يدع) في قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ **يَدْعُ الدَّاعِ** إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ۞ خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [ القمر:6-7]، فالواوات ههنا قد حذفت **لالتقاءِ السَّاكنين**[3]،وقيل: « حُذِفَتْ تَخْفِيفًا فِي النُّطْقِ، وَتَبِعَ حَذْفَهَا فِي النُّطْقِ حَذْفُهَا فِي الرَّسْمِ اعْتِبَارًا بِحَالِ النُّطْقِ »[4]

وأما حذف (الياء) في (المنادي) و(الداعي) في الآيتين المتقدمتين فقد حُذفَتْ منهما كما حُذفَتْ قبل دخول الألف واللام، لأنك تقول: هذا داع وهذا منادٍ، بمعنى أنَّ (الياء) قد حذفت تخفيفًا وقد أُجْرِيَتْ (أَلْ) مَجْرَى مَا عَاقَبَهَا، وَهُوَ التَّنْوِينُ[5] ؛ « لِأَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تُعَامِلُ الْمَنْقُوصَ الْمُعَرَّفَ مُعَامَلَةَ الْمُنَكَّرِ »[6].

ونرى أنَّ مسألة التقاء الساكنين عِلَّةً لحذف حرف البنية في رسم المصحف – في ما تقدم – رأيٌ غيرُ صائبٍ، بدليل إثبات (الواو) في (يمحو) في قوله تعالى:﴿ **يَمْحُو اللَّهُ** مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 39]، وحذفها في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ **وَيَمْحُ اللَّهُ** الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الشورى:24]، فكلاهما قد ورد بعدهما لفظ الجلالة (الله)، واللام فيه ساكنة.

والأظهر أنَّ السياق هو الذي دعا إلى إثباتها في سورة الرعد بدليل قوله :(وَيُثْبِتُ)، فالله (ﷻ) يُنْزِلُ كلَّ شيء في السَّنَة في ليلة القَدر، فيمحو ما يشاءُ من الآجال والأرزاق والمقادير، إلا الشقاء والسعادة، فإنهما ثابتان[7]، وليس كذلك في سورة الشورى، فقوله: (وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ) كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ، **وَلَيْسَ مَعْطُوفًا عَلَى جَزَاءِ الشَّرْطِ** إِذْ لَيْسَ الْمَعْنَى عَلَى: إِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَمْحُ الْبَاطِلَ، بَلْ هُوَ تَحْقِيقٌ لِمَحْوِهِ لِلْبَاطِلِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ رَفْعُ (وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ)، وهو وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ للنبي محمد (ﷺ) بِإِظْهَارِ الْإِسْلَامِ، وَهو وَعِيدٌ لِلْمُشْرِكِينَ بِأَنَّ دِينَهُمْ زَائِلٌ، وَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فَمَحَا بَاطِلَهُمْ وَأَعْلَى كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ[8].

ومن المعروف أنَّ تحقيقَ وعْدِ الله (ﷻ) للمؤمنين، ووعيده للمشركين يستلزم بالضرورة سرعة في الاستجابة، ولذلك حُذِفتِ (الواو) في قوله: (يمح) في رسم المصحف، وقد قال الله تَعَالَى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[الْإِسْرَاء:81]، والله أعلم.

وبنظرة شاملة إلى الآيات المتقدمة، وعند استنطاق ما دوَّنَه أهل التفسير، وظروف تلكم الآيات نجدُ أنَّ المنادي في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ **يُنَادِ الْمُنَادِ** مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ سورة ق:41] « يَعْنِي إِسْرَافِيلَ يُنَادِي بِالْحَشْرِ يَا أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ وَالْأَوْصَالُ الْمُتَقَطِّعَةُ وَاللُّحُومُ الْمُتَمَزِّقَةُ وَالشُّعُورُ الْمُتَفَرِّقَةُ، إِنَّ اللَّهَ **يَأْمُرُكُنَّ أَنْ تَجْتَمِعْنَ**»[9]، وقد قال الله (ﷻ) – كما تقدم–: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر:50].

(1) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني:7.
(2) م.ن: 4.
(3) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه:125/2، ومعالم التنزيل: 123/3، والكشاف:222/4، والجامع لأحكام القرآن:572/5.
(4) التحرير والتنوير:87/25، ويُنظر: البحر المحيط:35/10.
(5) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه:125/2، والبحر المحيط: 35/10.
(6) التحرير والتنوير:332/26.
(7) جامع البيان:479/16.
(8) يُنظر: جامع البيان:532/21، والكشاف: 222/4، ومعالم التنزيل:145/4، والتحرير والتنوير: 87/25.
(9) معالم التنزيل:280/4.

ولا يخفى ما لقوله (مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ) من تعبيرٍ عن قُرْبِ المسافةِ بين الباثِّ والمسْتَقْبِل، وقد وصفَهُ بالقرْبِ من حيثُ يسْمَعَهُ جميعُ الخَلْقِ[1]، والمسافةُ أحَدُ ركنَي السرْعَةِ، والآيةُ على التهْوِيْلِ والتعْظيْمِ لِشَأْنِ الْمُخْبَرِ بِهِ[2].

وقيل في سبب نزول قوله تعالى: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [ سورة الْعَلَقِ: 18]:« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ فَمَرَّ بِهِ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا ؟ وَتَوَعَّدَهُ، فَأَغْلَظَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مُحَمَّدُ بِأَيِّ شَيْءٍ تُهَدِّدُنِي؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَكْثَرُ أَهْلِ هَذَا الْوَادِي نَادِيًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: فَلْيَدْعُ نادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ، قال ابن عباس: لو دعا ناديه، لأخذته زبانية العذاب من **ساعته** »[3]، والزبانية: جَمْعُ زِبْنِيٍّ مَأْخُوذٌ مِنَ الزِّبْنِ، وَهُوَ عِنْدَ الْعَرَبِ الشُّرَطُ، وَكُلُّهُ مِنَ الدَّفْعِ، يُرِيدُ زَبَانِيَةَ جَهَنَّمَ سُمُّوا بِهَا ؛ لِأَنَّهُمْ يَدْفَعُونَ أَهْلَ النَّارِ إِلَيْهَا[4]، ومن المُتَصوَّرِ أنْ يصاحبَ هذا الدفعَ من زبانية جَهَنَّمَ سرعةٌ مقترنَةٌ بالشِّدةِ، وقد قيل عن الزبانية: هُمُ الْمَلَائِكَةُ الْغِلَاظُ الشِّدَادُ[5].

**وعند مراجعة لغة التنزيل نرى أنَّ جذرَ (زبن) ومشتقاته لم يردْ في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، وهو في الآية المتقدمة**[6]، والأظهر عند الباحث عِلةً أنَّ زبانيةَ جهنمَ يدفعون أهلَ النار إليها دفعَةً واحدةً، فناسب هذا ذاك، والله أعلم.

ولو تصفحنا قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ **يَدْعُ الدَّاعِ** إِلى شَيْءٍ نُكُرٍ ۞ خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [سورة القمر:6–7] لوجدنا جوًا عامًّا مُفْعَمًا بالسرعة، مشوبًا بالتهويل، والداعي هنا إسرافيل يدعو إلى شيء منكرٍ فضيع تُنكرُه النفوسُ؛ لأنَّها لم تعهدْ بمثلِه، وهو هَوْلُ يومِ القيامةِ[7].

وهو مشهدٌ من مشاهد ذلك اليوم، يناسبُ هولُه وشِدَّتُهُ ظلالَ السورةِ كلِّها، ويتناسَقُ مع الإرهاصِ باقْترابِ السّاعةِ، ويتناسق مع الإنباء بانشقاق القمر، فهو **متقاربٌ سريعٌ**، وتجده **مع سرعته** شاخصًا مُتحركًا، فهذه الجموع خارجة من الأجداث في **لحظة واحدة**، كأنهم جرادٌ منتشر، وهذه الجموع خاشعة أبصارها ذليلة ؛ لأنَّ ذلةَ الذليلِ وعِزَّةَ العزيز تظهران في عيونهما، وهي **تسرع في سيرها نحو الداعي**، الذي يدعوها لأمرٍ غريبٍ مُنكَرٍ شديدٍ لا تعرفُهُ ولا تطمئنُ إليه[8].

والمتحصّلُ مما تقدَّمَ ومن خلال ما تمَّ عرضُه في مُدوَّنةِ أهْلِ التفسير، يتَّضحُ لنا ما للتعبير عن السرعةِ من أثرٍ في حذْفِ حَرْفِ البنيَةِ في رسْمِ المُصْحَفِ، في هذه الآيات المتقدمة **(بلحاظ السياقِ وظروف الآية)**، فالجوُّ العامُّ فيها أنَّها مِنْ أعمالِ يومِ القيامةِ، وأهواله، وهي تقتضي السرعة امتثالاً لأمر الله (ﷻ)، على أننا لا نستطيع دفْعَ ما ذكَرَه بعضُ أهل التفسير في كوْنِ حرف البنية قد حُذِفَ فيها « تَخْفِيفًا فِي النُّطْقِ، وَتَبِعَ حَذْفَهَا فِي النُّطْقِ حَذْفُهَا فِي الرَّسْمِ اعْتِبَارًا بِحَالِ النُّطْقِ »[9]، والحال نفسُهُ في حذف (الياء) من (الداع) و(المناد) في معاملة العرب الاسم المحلى بـ(ال) معاملة الاسم المنون – كما تقدم–، **ونرى أنْ لا ضيرَ في اجتماعِ علتين في الموطن نفسه، عِلَّة صوتية، وأخرى دلالية، وذلك تبعًا لسياقِ الآيةِ وظروفِها وجوِّها العام – كما تقدَّم بيانه–، والله أعلم.**

**2. الحذف والإيصال:**

يُقسمُ الفعلُ من حيثُ التعدي واللزوم على مُتعدٍّ ولازمٍ، والفعلُ المتعدي: هو الذي يَصِلُ إلى مفعولِه بنفسِه بغيرِ حرْفِ جرٍّ، وأمَّا الفعلُ اللازمُ فهو الذي يَصِلُ إلى مفعوله بحرفِ جرٍّ، أو لا مفعولَ له، وقد يُحذَفُ حرفُ الجر فيَصِلُ الفعلُ اللازمُ إلى مفعولِهِ بنفسِهِ نحو: مررتُ زيدًا[10].

(1) يُنظر: المحرر الوجيز:169/5.
(2) يُنظر: البحر المحيط:9/ 542.
(3) جامع البيان: 526/24.
(4) يُنظر: معالم التنزيل: 282/5، والكشاف:779/4، ولسان العرب:194/13، مادة (زبن).
(5) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه:346/5.
(6) يُنظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن:405.
(7) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه:86/5، والكشاف:432/4، والبحر المحيط:35/10.
(8) يُنظر: في ظلال القرآن:3429/6.
(9) التحرير والتنوير:87/25، ويُنظر: البحر المحيط:35/10.
(10) يُنظر: شرح ابن عقيل:2/ 145-150.

ومنه في سياق قصة سيدنا يوسف (عليه السلام) مع امرأة العزيز (زليخا)[1] في قوله تعالى:﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾[ سورة يوسف:25]، والمعنى: (إلى الباب) **على حذف الجارّ وإيصال الفعل إلى مفعوله بنفسه**، على تضمين «استبقا» معنى «ابتدرا»[2]، **فأسرع يوسف(عليه السلام) يريدُ البابَ ليَخرُجَ، وأسرعَتْ وراءَهُ لتمنعَهُ الخروجَ**، (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ)، أَيْ: مِنْ خَلْفِهِ، قَبَضَتْ فِي أَعْلَى قَمِيصِهِ فَتَخَرَّقَ الْقَمِيصُ عِنْدَ طَوْقِهِ، وَنَزَلَ التَّخْرِيقُ إِلَى أَسْفَلِ القميص[3].

والذي نراه أنَّ **المسافة – كتابةً وتلاوةً** – بين قوله: (وَاسْتَبَقَا) وقوله: (الباب) كانت قصيرةً، وبزمنٍ نطقي قصيرٍ، ويتَّضحُ هذا جليًا إذا ما قارنَّا بين قوله: (واستبقا الباب) كما ورد في المصحف، وقوله: (واستبقا الى الباب) كما جاء في تقديره، ولمَّا كانتِ السرْعَةُ هي المسافة المقسومة على الزمن –كما تقدم– فلنا تصوُّرُ مدى سرعةِ سيدِّنا يوسف(عليه السلام) و(زليخا) نحو ذلك الباب، فحُذِفَ حرفُ الجر، ووصل ذلك الفعل اللازم الى مفعوله بأقصر زمن وأدنى مسافة.

وما عزَّزَ دلالةَ السرْعَةِ هنا، **وجَعَلَهَا مُركَّبَةً**، الدلالةُ المعجميَّةُ للفظة (استبق)، فالأصلُ فيها: الجدُّ في التّقدّم في السّير، وَفِي كُلِّ شَيء[4]، وهي من لوازم السرعة، ولهذا كلَّه آثرَ النصُّ القرآنيُّ استعمالَ القدِّ على القطِّ في قوله: (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ)، فأكثر ما يُستعمَلُ فيه القدُّ هو للقطْعِ طولاً، وأكثر ما يُستعمَلُ فيه القَطُّ هو للقطْعِ عرْضًا[5].

وما تعارف عليه الناس أنَّ القدَّ باستعمالِ اليَدَيْنِ لا يستلزِمُ تلبُّثًا كالقَطِّ، ولنا أنْ نسأل أيضًا، إذا كان الفعل اللازم (واستبقا) متضمنًا معنى الفعل المتعدي (وابتدرا)، فلِمَ عدلتْ لغة التنزيل عنها ؟ ألا يعْني هذا أنَّ استعمالَ هذه اللفظة (واستبقا) مقصودٌ ؟ ونظير الآية المتقدمة ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ** أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: 148].

**وممَّا تقدم يرى الباحث أنَّ مثل حذف حرف الجر هنا مقصودٌ طلبًا للسرعة، وهو مناسبٌ لسياق الآية وظروفها، وأراه أولى من التضمين الذي قال به النحويون وأهل التفسير، والله أعلم.**

**الخاتمة**

بدأت عملي هذا بالحمد والثناء على الله (عز وجل)، وأختمه بالشكر له تعالى شكراً يليق بعظمته على عطائه وتوفيقه، إذ يسَّر لي إنجاز ما عزمت عليه، وحقَّق لي ما صبوت إليه، وقد توصل البحث إلى جملة نتائجَ نذكر منها ما يأتي:

- تناثرتْ أقوالُ أهل التفسير في التعبير عن دلالة السرعة في مدوناتهم، فجَمَعَهَا الباحثُ تحت عنوانٍ واحدٍ، ولم نجد مَنْ كَتَبَ في هذا الموضوع بحسبِ اطِّلاعِنا.
- لم ترد لفظة (سريع) في لغة التنزيل إلا مضافةً إلى (الحساب) أو إلى (العقاب)، ولم ترِدْ إلا تذييلاً، والأظهرُ أنَّ في ذلك إشارةً إلى نهاية مآل المخاطبين ومَحَلِّهِم، وَإِيذَانًا بِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهُ الْعَمَلُ وَالامْتِثَالُ.
- كثرة ورودِ (الفاءِ) الدالَّةِ على التعقيبِ بلا مُهْلَةٍ – وهي من لوازمِ السُّرْعةِ – في دعاءِ الأنبياءِ للذاتِ المُقدسَّةِ في لغة التنزيل، طمعًا في سُرعةِ الاسْتجابَةِ.
- **وردتِ السرعةُ مركَّبَةً** في أغلبِ الآياتِ القرآنيَّةِ – محلَّ البحث–، وذلك حين تجتمع أكثر من صورة للتعبير عن تلك الدلالة بلحاظ القرائن السياقية.
- **صرَّح** الشيخ ابن عاشور التونسي بدلالة السرعة في معالجته لبعض الآيات القرآنية التي وردت فيها (الفاء) عاطفة، **والمتحقِّقُ أنَّ له قدَم السَّبْق فيها.**

(1) يُنظر: جامع البيان: 50/16.
(2) ورد في لسان العرب:48/4، مادة (بدر): « ويُقالُ: ابْتَدَرَ القومُ أَمراً وتَبادَرُوهُ، أَي: بادَرَ بعضُهم بَعْضًا إليه أَيُّهُمْ يَسْبِقُ إليه فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ »، بمعنى أن الفعل (ابتدر) هو فعلٌ متعدٍّ يَصِلُ الى مفعولِهِ بنفسِه.
(3) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه:102/3، والكشاف:458/2، والمحرر الوجيز:235/3، وجامع الأحكام: 170/9.
(4) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن:395، مادة (سبق)، ولسان العرب:48/4، مادة (سبق).
(5) يُنظر: المحرر الوجيز:235/3، وجامع الأحكام: 170/9.

- من درجات السرعة ما اصطلحنا عليه **بالسرعة المطلقة**، وهي: التعبير عن إيجاد الشيء بأسرع ما يدركُهُ الوهْمُ بلحاظِ القرائنِ السياقيِّة.
- قد يُحذَفُ **حرفُ الجرِّ طلبًا للسرعة**، تبعًا لسياق الآية وظروفها، وهو أولى من التضمين الذي قال به النحويون وأهل التفسير.

**المصادر:**


- **القرآن الكريم**

**أولا: الكتب المطبوعة:**

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت: 982هـ) خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه وضبط نصَّه: الشيخ محمد صبحي حسن، دار الفكر، بيروت، ط 1، 2001م.
- الأصول في النَّحو، لأبي بكر مُحمَّد بن سهل بن السَّرّاج النَّحويّ البغداديّ (ت316هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتليّ، مؤسسة الرِّسالة، بيروت، ط 3، 1996م.
- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، 1420هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لأبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1996م.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، أ.د. فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك للنشر، القاهرة، ط2، 2006م.
- التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (1321هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 2001م.
- جامع البيان في تأويل القرآن(تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1964م.
- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط1، 1987م.
- الحجة في القراءات السبع، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت: 370هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، ط4، 1401هـ.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط4، 1999م.
- رسم المصحف / دراسة لغوية تاريخية، د. غانم قدوري الحمد، مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت، ط1، 1982م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل (ت: 769هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، ط20، 1980م.
- شرح تسهيل الفوائد، لأبي عبد الله جمال الدين ابن مالك، (ت: 672هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، دار هجر، ط1، 1990م.
- شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهري (ت: 905هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.

- شرح الكافية الشافية، لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك (672هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.
- شرح المفصل، لأبي البقاء موفق الدين يعيش بن يعيش (ت643هـ)، تحقيق: د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط1، 1982م.
- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط17، 1412هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1407هـ.
- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور(ت: 711هـ)، دار صادر – بيروت، ط3، 1414 هـ.
- اللمحة في شرح الملحة، لأبي عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (ت: 720هـ)، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2004م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1422هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت: 458هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 2000م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد الفيومي (ت: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: 510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1420هـ.
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط1، 1988م.
- معاني القراءات، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري(ت: 370هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1999،1م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر (ت: 1424هـ)، عالم الكتب، ط1، 2008م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث– القاهرة، 2001م.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.
- المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، ط2، 2007م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، ط6، 1985م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1420هـ.
- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني (ت502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق، الدار الشامية – بيروت، ط3، 1424هـ.

**ثانيا: البحوث المنشورة:**

- من دلالات الرمز والإشارة في القرآن الكريم، د. علاء كاظم جاسم، بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية، تصدرها كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل، العدد السادس عشر، المجلد الأول – آب 2013.

**ثالثًا: شبكة الإنترنيت:**

- إعجاز القرآن في كلمات لم تُذكرْ إلا مرة واحدة، للكاتبة دانة وصال، منتديات أنصار آل محمد، وعلى الموقع:
https://ansaaar.com/showthread.php?t=13104
- سرعة الضوء في القرآن الكريم، محاضرة للدكتور علي منصور الكيالي، وعلى الموقع:
https://www.youtube.com/watch?v=3xUp6UJFxus&feature=share
- كلمات وردت مرة واحدة فقط ولم تتكرر، معهد دار الهجرة للقراءات وعلوم القرآن الكريم وعلى الموقع:
www.dar-alhejrah.com/t1837-topic